خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية

إعداد

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد

خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية

إذا كان أبو حيان التوحيدي يقول «إن صرح العلم لا يعلو إلا باطلاع الأواخر على علم الأوائل وإدراكهم ما فاتهم منه» فإن ثمة مؤتمراً عقدَ من قبل في بنغازي عام 1990 وعنوانه «الكتابة العلمية باللغة العربية»، إلا أن معظم بحوثه ركزت على المصطلحات انطلاقاً من أن تعريف المصطلحات العلمية هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يعنى باهتمام خاص، وذلك بتحديد الكلمات التي تعبر عن المفهوم العلمي لكل مصطلح علمي جديد بألفاظ يمكن كتابتها ونطقها باللغة العربية، ومن ثم العمل على إشاعة المصطلح وانتشاره في أوساطه الخاصة وتداوله في المادة المطبوعة وقاعات التدريس، لأن ذلك يعد حجر الزاوية في عملية التعريب على مستوى الوطن العربي وفي مسيرة التقدم الحقيقي.

أما مؤتمرنا الحالي الذي يحمل العنوان نفسه فلن يتناول موضوع المصطلح بعمق على النحو الذي تم تناوله في مؤتمر بنغازي، وإنما تناول البعد الحضاري للكتابة العلمية وأهميته والكتابة العلمية قديماً وحديثاً وخصائص الكتابة العلمية باللغة العربية ومشكلاتها...الخ.

ويجيء بحثنا «خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية» لينضوي تحت أحد محاور المؤتمر، وقد اشتمل البحث على مدخل تعريفي بالمصطلحات، ثم ركز على خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية.

أولاً– مدخل تعريفي

يفرق الباحثون بين الأسلوبين الأدبي والعلمي، من حيث إن الأسلوب الأدبي يصور فيه الكاتب أفكاره على نحو تظهر فيه مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، ويلجأ إلى الصور والأخيلة ليغلف فيها فكره، ويستعين بالتلوين الصوتي والجرس الموسيقي في بعض ألفاظه الموحية، في حين أن الأسلوب العلمي ينأى عن العاطفة والانفعال والخيال المجنح والكلمات ذات التلوين الصوتي والجرس الموسيقي، فيعرض لأفكاره بكل موضوعية مستخدماً اللغة العلمية، وهي اللغة المكونة من ألفاظ وتراكيب ومبان، والمتسمة بالوضوح والدقة والإيجاز، والموظفة المصطلحات الموحدة، وهي التي تركز على شدة الوضوح في المعنى بتجنب الترادف، وتوظف المصطلحات الموحدة معتمدة على المنطق، وتقتصد في التعبير، وتستخدم الرموز البيانية التوضيحية والجداول

والمعادلات الرياضية إذا اقتضى الأمر ذلك[1].

ويؤكد بعض الباحثين توضيح لغة العلم على النحو التالي:

1- الوضوح الذي لا يحمل اللبس، فالغرض الأساسي للغة العلم هو تفسير ظاهرة أو شرح طريقة، ولا يمكن تحقيق ذلك بلغة غير صريحة وواضحة أو بكلمات مبهمة غير محددة المعنى.

2- سلامة البنيان اللغوي والإيجاز، ولتحقيق الإيجاز يتم اللجوء إلى:

أ- الرموز وهي عادة من حروف الهجاء تستخدم للتعبير عن أشياء متعارف عليها كرموز العناصر الكيماوية ووحدات القياس وما إلى ذلك.

ب- المعادلات الرياضية: وهي صيغ رمزية للتعبير عن علامة معينة أو قانون

ج- الرسوم: وهي رسوم تخطيطية توضح بنية معينة كالدوائر الكهربائية أو الإنشاءات المعمارية، أو التصميمات الهندسية، أو الاتحادات الكيماوية، كما تستخدم أيضاً لتوضيح عمليات معينة.

3- المصطلحات: والمصطلح العلمي كلمة أو أكثر يتم الاتفاق على تخصيصها لتعني مفهوماً محدداً[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما نتحدث عن علمية اللغة العربية فإننا «نؤكد إمكانات العربية في التعبير عن المفاهيم الدقيقة في مختلف التخصصات، ونركز على وضع المصطلحات العلمية، وطريقة أداء الرموز والمختصرات في اللغة العربية، وعلى ضبط الصيغ والعمليات الرياضية في علم الحساب وعلوم الهندسة والتقانة، والتعامل مع الحاسوب والرسوم والمخططات والأشكال الإيضاحية، وإحكام كتابة الأرقام ووحدات القياس ومسميات الأعداد الكبيرة والكميات فائقة الدقة»[3].

ويرى الباحثون أن لكل من الأدب والعلم مجاله في المعرفة الإنسانية، فالعلم مجاله الواقع

---

[1] الدكتور صالح بلعيد- اللغة العربية والتعريب العلمي- مجلة التعريب- السنة التاسعة- العدد الثامن عشر- دمشق 1999 ص20.

[2] رمضان هدارة- لغة العلم- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1981- الجزء 47 ص130-131.

[3] الدكتور دفع الله الترابي- علمية اللغة العربية وكفايتها لنقل العلوم ونشرها- ندوة تعريب التعليم والتنمية البشرية- الجزائر 11-13 أكتوبر 2010.

ينقب فيه عن قوانينه وأدلته، والأدب مجاله علاقتنا بالواقع وإحساسنا به، فالعالم لا يصدر في علمه عن نفسه، وإنما يصدر عن الواقع الخارجي ليثبت ما يريد إثباته من القوانين في الطبيعة وغير الطبيعة مقيداً بالمنطق العقلي وأدلته وبراهينه وتفاصيله السليمة ومقدماته السديدة وتجاربه. أما الأدب فلا يعبأ بذلك كله، إذ إن الأدب ذاتي والعلم موضوعي، فالعلم يتناول حقائق الواقع محاولاً أن يصفها كما هي غير مضيف إليها أي شيء من داخله أو من مشاعره وتصوراته. أما الأديب فلا يهمه الواقع ولا حقائقه وقوانينه، وإنما تهمه نفسه وحقائقها الوجدانية ودخائلها الشعورية[4].

بيد أن ثمة قواسم مشتركة بين الأدب والعلم تتجلى في أن كلاً منهما يهدف إلى تحقيق غايات إنسانية، إذ إن الفيلسوف والمشتغل بالعلوم الاجتماعية والفنان والكاتب ورجل العلم، كل هؤلاء أشقاء في قرارة نفوسهم، وسواء أكانت طريقتهم في كشف النقاب عن التجارب الإنسانية وتحليلها أم في تنظيم الظواهر القابلة للقياس وصولاً إلى صوغ المبادئ فإن بواعثهم ونوع تجاربهم وقناعاتهم إنما تتأصل في إنسانية واسعة التعريف[5].

وإذا كان الأدب يمجد القيم الإنسانية ويدعو إلى الحق والخير والجمال فإن الروح العلمية تدفع الإنسان إلى أن يتحرك بحرية نحو الحقيقة مهما يكن الطريق الذي يؤدي إليها. ورجالات العلم جميعهم يتحدثون بلغة عظيمة واحدة هي لغة الأفكار، والكشوف الإنسانية في الفيزياء والرياضيات وغيرها والتي يتوصل إليها العلماء هي ملك للإنسانية، ولا يمكن للعلم أن يكون متحيزاً مهما يكن لون جلد الإنسان ومهما تكن سياسته أو طبقته الاجتماعية، فعالم الأحياء الروسي يتعاون تعاوناً مثمراً مع زملائه الأمريكيين الذين يعملون في المجال نفسه، والعلم يحكم على الأفكار في حد ذاتها، ولا يسأل عمن يسير في ركاب هذه الأفكار، فهو لا يعرف حدوداً حزبية ولا طوائف ولا تقاليد، والانحرافات الأساسية عن المثل العليا والمعتقدات التي كانت سبباً في هدم الروابط بين البشر على مر التاريخ ليس لها من معنى في نظر العلم، إذ إن السيادة التي يمنحنا العلم إياها على الطاقة والأشياء المادية قد تدفع بجنسنا البشري إلى حتفه ما لم تتسم بالحكمة والتعقل لتسيطر على السبيل الذي تسير

---

[4] الدكتور شوقي ضيف- في النقد الأدبي- دار المعارف بمصر- القاهرة 1962 ص69.

[5] صموئيل رايورت وهيلين راتب- العلم معنى وطريقة- ترجمة أحمد بنونة ومراجعة الدكتور كامل منصور- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة 1968 ص54.

فيه[6].

ومادامت الغايات التي يرمي إليها كل من الأدب والعلم واحدة في إنسانيتها ونبل مراميها الإنسانية كانت الكتابة العلمية باستخدام اللغة العلمية واحدة في ميدان الأدب والعلم، وليس ثمة من فروق في اللغة العلمية إن في مجال الأدب أو في مجال العلم، فما خصائص الكتابة العلمية؟

ثانياً– خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية

إن الكاتب في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية أو في ميدان العلوم البحتة والتطبيقية ينبغي له أن يتسم بسمات معينة تتمثل في الأمانة العلمية والتواضع في منأى عن الادعاء والغرور وتقبل النقد والاعتراف بالحقيقة إذا تجلت أمامه في منأى عن المكابرة، والموضوعية في إصدار الرأي والحكم في منأى عن التحيز والتعصب.

1– الأمانة العلمية في الاقتباس والشواهد ورد الفكر لأصحابها:

تعد الأمانة العلمية بسملة الكتابة العلمية، وعلى كل كاتب أن يتسم بها وأن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، إذ إن العالم الحق لا يكون إلا صادقاً، ذلك لأن الخائن لا يؤتمن، ومن لا يؤتمن لا يؤخذ عنه علم كما جاء في المقالة الأولى من كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان[7].

واتهام كاتب علمي بالغش يماثل في الخطر تقريباً الادعاء بأن رئيس الأطفائيين مصاب بهوس الحريق، أو أن الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر موئل لمصاصي الدماء. والغش العلمي يثير استنكار كل من يسمع به، والحادث الأكثر شهرة في هذا المجال هو تصرف السير «سيريل بورت» رائد اختبارات الذكاء، إذ إنه اكتشف بعد موته أنه زيف قسماً من معطياته التجريبية ليجعلها ملائمة لفرضياته، وما هو أقرب إلينا غش «سومر لن» وهو باحث مشهور في معهد سلوان– كترنغ في نيويورك، وقد أراد أن يبرهن لرئيس فريقه الدكتور «روبرغود» أنه يمكن تطعيم أجزاء من جلد الفئران السود على ظهر الفئران البيض، وهذا يعني أن ثمة تقدماً كبيراً في زراعة الأنسجة. وبعد بضعة أشهر أطلع «سومر لن» رئيسه

---

[6] المرجع السابق.

[7] زكي نجيب محمود– جابر بن حيان– مكتبة مصر– القاهرةالفجالة ص50

«غـود» على فئران بيض مبقعة بشعر أسود، وقد آمن «غـود» المستعجل والمشغول دائماً بذلك دون أن يدقق في فحص الفئران، ولكن زملاء «سومر لن» في العمل وقد شكوا في النتيجة، اكتشفوا الغش، وكان فاحشاً، فقد دهن «سومر لن» الفئران البيض بوساطة قلم لباد، وكاد «غود» رئيس الفريق أن يفقد وظيفته وترك المعهد بعد ذلك. أما «سومر لن» فلم يقتصر الأمر على إجباره على الاستقالة، بل حظر عليه نهائياً البحث العلمي[8].

وإذا كانت بسملة الأمانة العلمية تحتم على الكاتب أن يرد الفضل إلى ذويه، وأن ينسب القول إلى أصحابه، فإن الذروة في الأمانة العلمية تتجلى في الكتابة العلمية عندما يذكر الكاتب فكرة أو مقترحاً كان قد لقفه من حديث عارض بينه وبين كاتب آخر، فلنستمع إلى أستاذنا الدكتور شكري فيصل رحمه الله يقول في كتابه «الصحافة الأدبية»: «أحب أن أقول لكم إن الفضل في شق هذا الطريق الجديد بين يدي الدراسة الأدبية —ويعني به تمثل الأدب العربي المعاصر وتكوين فكرة كلية عنه في ضوء ما ينشر في المجلات– يعود إلى الأستاذ الدكتور اسحق الحسيني فهو الذي اقترح علي هذا الموضوع في ذات يوم في العام الماضي في حديث عارض، وقد لقفت هذا الاقتراح لأنه كان في ذهني شيء من هذا الموضوع[9].

فلقد أرجع الفكرة إلى صاحبها، ولم تكن تلك الفكرة مدونة في كتاب أو في مقال، وإنما كانت قد وردت في حديث عارض.

2– عدم الإسراف في النقل: من المتعارف عليه في أصول الكتابة العلمية أن الاستشهاد بأقوال الباحثين الآخرين يجب ألا يتجاوز الأسطر القليلة، ولا يمكن أن يتجاوز نصف الصفحة، فإذا تجاوز ذلك فيجب أن يوضع في ملاحق مستقلة في نهاية المقالة أو البحث. وبدلاً من إيراد النصوص نفسها يستطيع الباحث أن يلخصها ويذكر النقاط ذات العلاقة بالبحث[10].

3– استعمال الأسلوب العلمي في الدقة والوضوح: ويتطلب ذلك أن يكون الكاتب واضحاً في عبارته، مدركاً لما فيها من غموض قبل استعمالها، وأن تتسم المصطلحات التي يستخدمها بالبساطة والوضوح في الدلالة على الفكرة العلمية أو الفنية، والإيجاز والاختصار

---

[8] فرناند سفن– العلم والحياة– ترجمة المهندس ميشيل خوري– وزارة الثقافة السورية–1998 ص142.

[9] الدكتور شكري فيصل– الصحافة الأدبية– معهد الدراسات العربية– القاهرة 1960 ص9.

[10] الدكتور حمزة بن قبلان المزيني– الخلل المنهجي في كتابات الدكتور رمضان عبد التواب اللسانية– شبكة صوت العربية ص2.

ما أمكن على أقل عدد من الكلمات والحروف، وأن يكون المصطلح المستخدم موضوعياً في دلالته، وألا يتعدد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل العلمي الواحد، وأن يسمح بالاشتقاق بما لا يضر بكيان اللغة[11].

وكلما كانت الفكرة واضحة ودقيقة في ذهن الكاتب وبعيدة عن التناقض ومنطقية أمكنه التعبير عنها بوضوح. ومن هنا كان لابد من تلازم النتائج مع المقدمات والتركيز على تحديد السبب والنتيجة والاستقراء والاستنتاج والمقارنة والحرص على التتابع وقوة البرهان والأدلة، والتمييز بين الحقائق والمعلومات والادعاءات وتعرف المغالطات. والاستنتاج الصحيح هو الاستنتاج الذي تلزم النتيجة فيه منطقياً من المقدمات، فإذا كانت المقدمات صحيحة فإن النتيجة لابد أن تكون صحيحة، واليقين الذي يقدمه المنطق يمكن أن يسهم في المعرفة إسهاماً كبيراً.

وتجدر الإشارة إلى أن استعمال الجمل الواضحة في التعبير عن الأفكار الواضحة يؤدي إلى الفهم، إذ إن استيعاب المستمع للجمل البسيطة والقصيرة أسهل بكثير من استيعابه للجمل المعقدة، كما أن فهم الجمل الأساسية التي لا تتضمن جملاً فرعية أسهل على الفهم من جملتين إحداهما أساسية والأخرى فرعية، وكلما زاد عدد الجمل الفرعية زادت صعوبة فهم الكلام[12].

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الدقة والوضوح في الكتابة العلمية باللغة العربية لا تقتصر على الميادين العلمية وحدها، وإنما تشمل الأدب والعلوم الإنسانية الأخرى، فمن الأمثلة على الأساليب غير العلمية في ميدان الأدب المثال التالي: «ففي سياحة سريعة في حماسة أبي تمام لم أكد أعثر على بيت شعر فيه تشبيه ضمني، وقد وقفت على تشبيهات تمثيلية كثيرة. وفي شعر الشعراء السابقين للعهد العباسي وجدت أن هذا التشبيه كان نادراً إلى حد يلفت الانتباه، فلقد قلبت صفحات ديوان جرير فما عثرت على تشبيه ضمني واحد، وقد أكون مخطئاً في هذا النفي المطلق لهذا الأمر، فأنا لم أقلب كل دواوين شعراء العربية قبل

---

[11] وليد سراج الدين- اللغة العربية والاصطلاح العلمي- شبكة صوت العربية ص2.

[12] الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- منشورات جامعة دمشق 2008 ص44.

العصر العباسي، ولكنه إحساس عام لا يسهل كتمانه»[13].

إن استعمال التعابير «لم أكد أعثر، وقفت على تشبيهات تمثيلية كثيرة، وجدت أن هذا التشبيه كان نادراً، فما عثرت على تشبيه ضمني واحد، أنا لم أقلب كل دواوين شعراء العربية، ولكنه إحساس عام لا يسهل كتمانه» هو استعمال غير علمي، فالأسلوب العلمي يحدد بالأرقام والنسب الإحصائية البيانات والمعطيات ولا يتركها للانطباعات الذاتية والأحاسيس العامة كما ورد في كتابة الباحث.

ومن الأساليب غير العلمية قول الباحث نفسه «يذكر بعض الباحثين، ويرى بعض الباحثين، ويقول أحد الباحثين» ويشير في الهامش إلى مرجع، ولا ندري ما إذا كان صاحب المرجع هو هذا الـ «بعض» أو الـ «أحد» أم أن الباحث المقصود ورد في المرجع وليس هو صاحبه[14].

ومن الأساليب غير العلمية قوله «والغريب في هذا الأمر»[15] ذلك لأن الأسلوب العلمي ينأى عن الغرابة والدهشة.

ويقول أيضاً: «وثمة مقولة غاب عني مرجعها الآن»[16]، كما يقول: «وهذا ما لا أحسب أن أحداً من شعراء العصر العباسي يقترب منه»[17].

فالتعابير: «ما لا أحسب أن أحداً يقترب منه، والغريب في هذا الأمر» هي أساليب غير علمية، ذلك لأن الأسلوب العلمي يتصف بدقة التعبير، وترتيب الأفكار، وسرعة الوصول إلى عقل القارئ، والابتعاد عن الخيال، إذ إن غايته مخاطبة العقل وشرح الحقائق وتفسير الغوامض بكلمات بسيطة وفصيحة وجمل واضحة ولكنها دقيقة.

4- البعد عن التعميم: تنأى الكتابة العلمية عن التعميم، ومن الملاحظ أننا نعمم أحكامنا دون تثبت أو تجربة، ونصدر الأحكام على أنها حقائق مطلقة، وهذا المنحى طالما يرد في

---

[13] الدكتور عمر الساريسي- التشبيه الضمني في شعر العصر العباسي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد 84 الجزء الثالث تموز 2009 ص730.

[14] المرجع السابق ص722.

[15] المرجع السابق ص725.

[16] المرجع السابق ص734.

[17] المرجع السابق ص737.

كتابات بعض الباحثين، إذ ورد في رسالة دكتوراه في التربية «أن المنهج المقترح يراعي ميول التلاميذ وقدراتهم واستعداداتهم في كل ما يقدمه إليهم من معارف مختلفة وأنشطة تعليمية متعددة، كما يشبع حاجات التلاميذ سواء أكانت بيولوجية أم اجتماعية أم نفسية، ويتيح دراسة المشكلات الجديدة التي تأتي نتيجة التغير السريع في حياة المجتمعات، والتي يكون لها علاقة بحياة الأفراد والجماعات»[18].

وجاء في رسالة أخرى «ولا يصح بحال من الأحوال الاستمرار في تراجع التحصيل اللغوي في مدارسنا، وهذا ما رسخ قناعة الباحثين بأهمية الطريقة الوظيفية المقترحة التي تربط التعليم بالحياة، وترسخ التعلم الذاتي، وتمنح الأولوية لاهتمامات التلاميذ المعرفية والقيمية، وإشباع حاجاتهم منهما بما يحقق لهم التوازن والتكيف في بيئتهم داخل المدرسة والمجتمع، إنها الطريقة التي تجعل من التلميذ معلماً ومقوماً لذاته قبل مدرسه، وإنها الأكثر فاعلية بين التلميذ ومدرسه وزملائه، وهي الطريقة القادرة على استيعاب مختلف الطرائق»[19]. وأن الموضوعات التي تم اختيارها لهذا الكتاب موضوعات جيدة وجميلة وتهم التلاميذ وتلبي حاجاتهم[20].

فهذه الأحكام العامة التي أطلقها الباحث في رسالته من حيث إن المنهج الذي اقترحه يراعي ميول التلاميذ وقدراتهم واستعداداتهم ويشبع حاجاتهم، ويتيح دراسة المشكلات الجديدة، تحتاج إلى تجارب للتثبت من صحتها.

كما أن الأحكام التي وردت في كتابة الباحثة من حيث إن طريقتها المقترحة تربط التعليم بالحياة، وترسخ التعلم الذاتي، وتشبع حاجات التلاميذ المعرفية والقيمية، تحتاج هي الأخرى إلى تجارب علمية للتثبت من صحتها، والأمر نفسه ينطبق على أحكامها على الموضوعات التي تم اختبارها.

وإذا كانت الكتابة العلمية لا تعرف التعميم وتنأى عنه فإن الحذر العلمي تؤكده وتركز

---

[18] الدكتور عبد الله حسون العلي- المنهج التكاملي وتقويم أثره في تدريس اللغة العربية- رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية بجامعة دمشق 2010 ص130.

[19] الدكتورة وفاء أحمد العيسى- فاعلية برنامج تدريسي معد وفق الطريقة الوظيفية في تدريس الأدب والنصوص- رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية التربية بجامعة دمشق عام 2007 ص5.

[20] المرجع السابق ص158.

عليه.

5- الحذر العلمي: طالما نلاحظ أن ثمة باحثين يردون السبب في مشكلاتهم التي يعالجونها إلى مؤثر واحد أو عامل واحد، وهذا لا تعرفه الكتابة العلمية الدقيقة التي تحتاط وتتسم بالحذر في التفسير والتعليل فتستخدم أساليب من مثل:

- قد يرجع السبب إلى كذا
- وأغلب الظن أن هذه يرجع إلى كذا
- ولا يمكن إغفال عوامل أخرى قد يكون لها تأثير في الموضوع.

ومن الأساليب غير العلمية التي تنأى عن الحذر العلمي:

- «ويمكن إرجاع النتائج إلى أن التلاميذ الذكور في المجموعة الأولى درسوا الأدب والنصوص وفق الطريقة الوظيفية»[21].

- «والسبب في ذلك يعود إلى أن الإناث أكثر ميلاً إلى الحفظ، وأكثر قدرة على التذكر»[22].

- «ويمكن تفسير ذلك بمضي خمسين يوماً على تطبيق الدروس والاختبار»[23]

- «ويمكن إرجاع النتائج إلى أن تلاميذ المجموعة التجريبية قد درسوا الأدب وفق الطريقة الوظيفية الكاملة»[24].

- « يعود ذلك إلى أن معلمي التربية الإسلامية ومعلماتها في الأردن يعدون لمهنتهم وفق خطط تربوية متشابهة، ثم إنهم يمارسون عملهم في بيئة واحدة، ويتعرضون لذات الخبرات التعليمية والتدريبية»[25].

- وقد يغلف الأسلوب بشحنات انفعالية كقول الباحث «وهذا – لعمري – مردّه إلى كذا» وكم تحمل كلمة «لعمري» من شحنة انفعالية.

---

[21] المرجع السابق ص352.

[22] المرجع السابق ص357.

[23] المرجع السابق ص355.

[24] المرجع السابق ص388.

[25] الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس- مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس- العدد 101 مارس 2005 ص32.

6- البعد عن التقرير والتأكيد:

تتسم الكتابة العلمية بالبعد عن التقرير في أسلوبها والتأكيد في أدواتها، وطالما نجد في كتابات الباحثين عبارة «ومما لاشك فيه» كقول الباحثة: «ومما لاشك فيه أن القراءة الجهرية تستخدم المهارات التي تشتمل عليها الصامتة»[26].

«ولا شك أن الحركة التاريخية للاحتجاج تتوجه أنظارها بالمنهج العلمي وتطور ثقافة رجاله»[27].

ومن الواضح أن استعمال «إن» يدل على التأكيد والتقرير، إلا أن بعض الباحثين يكثرون من استعمالها، ويسرفون في هذا الاستعمال، وهذا ما يجعل كتابتهم تنأى عن العلمية، إذ إن الأسلوب العلمي لا يعرف التقرير وأسلوب التأكيد.

ففي بحث عن أخطار الاستعمار الحضاري يقول الباحث «إن أثرياء العرب يعزلون أنفسهم في خانة الصفر على الشمال، وإن معظم الكبار من أثرياء الوطن العربي مغرر بهم بطريقة عجيبة غريبة، إنهم غارقون في اصطياد الوكالات والمناقصات وتنفيذ مشاريع كبيرة تأتي عليهم بالربح الوفير، وإن كثيرين من أثريائنا هؤلاء لاهون عن الجد. إن مصالح أثريائنا مرتبطة بمصالح طبقة الأثرياء العالميين. إن معظم أثريائنا يرمون بعصا الطاعة إلى الأثرياء العالميين أصحاب القرار الممسكين بزمام التقدم العلمي والصناعي والفكري. إن ظهورهم مع أصحاب القرار في مجالس الاقتصاد العالمي لا يجعلهم أنداداً لهم[28].

ففي عدة أسطر استخدم الباحث أسلوب التأكيد سبع مرات، ويتابع بحثه على هذا النحو في الصفحات الأخرى، إذ تتواتر «إن» سبع مرات وثماني مرات في عدة أسطر.

7- البعد عن المبالغة في إسباغ الصفات على الأشخاص: تتسم الكتابة العلمية بالواقعية والبعد عن المبالغة في إسباغ الصفات على الأشخاص، وطالما نلاحظ صفات من مثل «الجليل، الفاضل، العلاّمة، الموسوعي، العالم الفذ،..الخ» في بحوث منشورة من مثل «لقد

---

[26] مها فهد أبو حمرة- صعوبات تعلم اللغة العربية لدى غير الناطقين بها- رسالة ماجستير غير منشورة- كلية التربية بجامعة دمشق 2007 ص37.

[27] الدكتور فخر الدين قباوة- توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 83 ج4 ص818.

[28] الدكتور سامي عصاصة- أخطار الاستعمار الحضاري- جمعية أصدقاء دمشق- تموز 2010 ص18.

كان تساؤل الرئيس الجليل وارداً بلغة أهل القانون»[29].

وإن الرئيس الجليل ردّ على هذا الاعتقاد بالآتي: لا يكفي في معالجة القضية المثارة أن ننسب الوهم إلى الإمام السيوطي ارتجالاً دون دليل مقنع، ولاسيما أن المحقق قد ذكر أن ثمة مخطوطة قد نسبت الأبيات إلى ابن مالك، فالسيوطي لم ينفرد بنسبة الأبيات إلى ابن مالك»[30].

ولابد من التنويه بما صنع المحققان الفاضلان، فإنهما –لاشك– قد بذلا جهوداً كبيرة وعانيا معاناة شديدة[31].

وفي البحث نفسه يقول الباحث «وصف المحققان الفاضلان المخطوطة واستفادا من وصف من عاينها قبلهما، وسجل ملاحظاته عنها، وسقط من آخرها ورقات قليلة في تقرير المحققين الفاضلين»[32].

وقد ورد في البحث نفسه أسماء محققين آخرين لم تسبغ صفة الفضل عليهما. وتجدر الإشارة إلى أن الألقاب ظهرت بصورة سخية في حياتنا المعاصرة، وبعد أن كان العلماء إبان ألق الحضارة العربية الإسلامية يتسمون بالتواضع، ويذيلون كلامهم بالفقير لله أو راجي الغفران، أصبحنا نلاحظ كتابات تنأى عن الأسلوب العلمي وكأننا في عصر الانحدار، عصر الممالك المتتابعة، ومن هذه الكتابة غير العلمية «العالم العلاّمة والبحر الفهّامة، أو الشيخ الفقيه والعالم النبيه» «هو شيخ الإسلام، علم الأعلام، مفتي الأنام، السيف المسلول على المبتدعين، والقاطع البتار لألسنة المارقين الملحدين».

ويرى أستاذنا الدكتور حامد عمار أن هذا التزيد في الألقاب يمثل هدراً في الورق والحبر والوقت، وأضيف إلى ذلك: «كما يمثل نأياً عن الموضوعية، وبعداً عن الحقيقة»[33].

8– البعد عن الغرور: يتسم الكاتب العلمي الأصيل بالتواضع العلمي والبعد عن الغرور، ذلك لأن الغرور من أكثر الآفات فتكاً بصاحبها فتنأى به عن الطريق العلمي السوي، وقديماً

---

[29] هلال ناجي– القصيدة المتداخلة– مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق– الجزء الثالث– المجلد الرابع والثمانون– تموز 2009 ص714.

[30] المرجع السابق ص713.

[31] الدكتور محمد رضوان الداية– كتاب أعلام مالقة– المرجع السابق ص686.

[32] المرجع السابق ص682.

[33] الدكتور محمود أحمد السيد– مقالات في الثقافة ج2– وزارة الثقافة السورية– دمشق 2004 ص383.

قيل: «يضيع العلم بين اثنين الحياء والغرور».

ولقد كتب عالم النفس الروسي «بافلوف» قبيل وفاته: «ما الذي أستطيع أن أتمناه لشباب أمتي الذين يقفون أنفسهم للعلم؟

أولاً- التدرج، التدرج، التدرج: وإياك أن تبدأ خطوة تالية دون أن تكون قد تمكنت من الخطوة السابقة، ولكن لا يكفي مجرد أداة لتسجيل الوقائع بل حاول أن تنفذ إلى سر حدوثها باحثاً باستمرار عن القوانين التي تتحكم فيها.

ثانياً- التواضع، فإياك أن تدع الغطرسة تستحوذ عليك فإنها تجعلك عنيداً حين تلزم الموافقة، وتمنعك عن قبول المساعدة النافعة الصادقة، وتفقد الروح الموضوعية.

ثالثاً- الشغف: وتذكر أن العلم يتطلب من الإنسان كل حياته، ولو كانت لديك حياتان لما كانتا كافيتين لك، فكن شغوفاً بعملك وبحثك»[34].

وروي عن «نيوتن» أنه قال قبيل وفاته بوقت قصير: «إنني لا أعرف كيف أبدو في نظر العالم. أما في نظري فإنني أبدو كما لو كنت مجرد صبي يلهو على شاطئ البحر، فأسلي نفسي من حين إلى آخر بالعثور على حصاة أنعم، أو صدفة أجمل من المعتاد، في الوقت الذي يمتد محيط الحقيقة أمامي مجهولاً تماماً»[35].

وإذا كان التواضع العلمي من أهم سمات الكتابة العلمية فإن الغرور بالمقابل يقتل صاحبه، وينفي عنه سمة العالم، وبقدر سعة المعرفة يزداد المرء تواضعاً، وبقدر قلة المعرفة يكون الادعاء والغرور!!

وفي كتابات بعض الباحثين في حياتنا المعاصرة نلاحظ أن ثمة ادعاء يتجلى في كتابتهم، ومن ذلك قول أحدهم: «صدر كتابي في طبعته الأولى سنة 1973 فتلقفه القراء المتخصصون في شتى أنحاء الوطن العربي بيد الرضا والقبول. ولم يدفعني إلى هذا العمل إلا حرص الزملاء والأصدقاء من الباحثين والطلاب على أن أجمع هذه البحوث في كتاب، وبعضها مما تهافت الباحثون على تصوير نسختي الخاصة منه»[36].

ويقول آخر: «أما نحن فقد يسر لنا الله عز وجل أن ندفع الباب ونزيح الفريقين ونقتحم

---

[34] الدكتور محمود أحمد السيّد- في البحث التربوي والتربية الشاملة- مطبعة العجلوني- دمشق 2002 ص22.

[35] و. أ. بغردج- فن البحث العلمي- ترجمة زكريا فهمي- دار إقرأ لبنان 1983 ص220.

[36] الدكتور حمزة بن قبلان المزيني- الخلل المنهجي في كتابات الدكتور رمضان عبد التواب اللسانية- مرجع سابق ص2.

الميدان الملتهب لنطفئ شعلة الخلاف والشقاق، وننزع فتائل الخصام والاتهام»[37].

كما يقول في موضع آخر: «ولما يسر الله عز وجل لنا مجالات المتابعة للبحث الجاد المعرفي، وتتبعنا جذور الشبهات بالفحص والتقويم، انكشف عنا الغطاء، فإذا بصرنا يومئذ جديد، يبدد الأراجيف والمتاريس والمثبطات»[38].

وطالما لاحظنا أن عدداً من الباحثين يذكرون في مقدمات بحوثهم أن بحثهم يعد أول بحث في مجاله[39]، وأن الباحثين الآخرين قصروا عن إدراك ما توصلنا إليه.

9- احترام الرأي الآخر: تتسم الكتابة العلمية باحترام الرأي الآخر وعدم تسفيهه، وإنما تناقش الحجة بالحجة والدليل بالدليل والبرهان بالبرهان في منأى عن التحيز والتعصب. أما أن يلجأ الباحث إلى المهاترات وتسفيه آراء الآخرين على أنها الخطأ، وإبراز آرائه على أنها الصواب، فهذا ما تنأى عنه الكتابة العلمية.

وإذا ما نظرنا إلى ما ورد في أحد البحوث على النحو التالي:

«وفكرة السليقة أو ما سماه ابن خلدون بالملكة لم تكن واضحة عند جميع الدارسين العرب المحدثين، فهذا محمد كامل حسين يقول: ومن أعجب القواعد التي لا يمكن أن تكون سليقة إعراب «غير» فعليك أن تغيّر الجملة في ذهنك، وأن تضع بدلاً منها «إلا»، ثم تحدد إعراب ما بعد «إلا»، وبذلك يتم لك إعراب «غير» بعد تفكير طويل».

ويعقب الكاتب على هذا القول قائلاً: لولا أن هذا الكلام قد كتب في كتاب يقرؤه الناس لما جشمنا أنفسنا عناء الرد عليه لتهافته جداً جداً»[40].

فإننا نلاحظ بعد قراءة هذا المقطع أن كتابة الكاتب لا تتسم بالعلمية والموضوعية، وإنما بالتحامل والتسفيه، وهذا لا تعرفه الكتابة العلمية.

وها هو ذا باحث آخر يقول: «نعم إذا كان ما لمسناه في صنيع قدماء النحاة إعراضاً

---

[37] الدكتور فخر الدين قباوة- توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 2008 المجلد 83 ج4 ص840.

[38] المرجع السابق ص831.

[39] مها فهد أبو حمرة- صعوبات تعلم اللغة العربية لدى غير الناطقين بها- مرجع سابق ص14.

[40] الدكتور محمد الحبَّاس- مفهوم الفصاحة عند النحاة العرب القدماء والمحدثين- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 84 ج4 ص1023.

عن الأحاديث النبوية، لما ذكره المثبطون المرجفون وقد ثبت تهافته وتلاشيه، فما أجهلهم بحقيقة الأمر! وما أقصر نظرهم وأتعسهم! وما أضعف نتاج التقعيد والتأصيل والتفريع والاحتجاج والتفسير والتعليل والبيان في أقوالهم!.»[41]

ويهاجم الباحث «سيبويه» صاباً عليه عبارات بعيدة عن الكتابة العلمية، إذ يقول: «لقد ضيّع هذا المُرجف «يقصد سيبويه» أجيالاً من النحاة، وصرفهم عن جادة الصواب بما أثار من العجاج والأضاليل، فمنهم من نجا بجلده يواجه الحقائق بجد واقتدار، ومنهم من لبث يجتر مقولات باطل الأباطيل»[42].

ويقول في البحث نفسه: «أما من استسلم للضباب والسحب والأضاليل والأراجيف، ولم يحمّل نفسه أعباء الدرس والتمحيص، فقد لبث في الأخاديد يردد أصداء الشبهات، ويعرقل مسيرة التقويم والتسديد، وينعى علينا وعلى كل نابه ما نغني به الاستدلال النحوي من حجج وشواهد وأمثلة نبوية مكرمة توسع الأفق، وتمد الأفهام والأقلام والألسنة بالفصاحة الرائقة والبيان الواقعي الآني بعيداً عن ضرائر الشعر وتضع النحاة لتعابير غثيثة في التاريخ النحوي المديد[43].

10- العناية بالشكل إلى جانب المضمون: إذا كانت الكتابة العلمية تتسم بالدقة في الاقتباس والشواهد ورد الفكر لأصحابها، وبالوضوح في اللغة ألفاظاً وأساليب واستخداماً للجمل القصيرة والكلمات المباشرة مع تجنب استخدام الكلمات الزائدة، وبالبعد عن التعميم والحذر العلمي والبعد عن التقرير والتأكيد والمبالغة في إسباغ الصفات على الأشخاص، وبالبعد عن الغرور، واحترام الرأي الآخر، فإن هذه الخصائص كافة ينبغي لها أن تتجلى في إخراج يعنى بعلامات الترقيم بحيث تستخدم في مواضعها بصورة دقيقة، كما تتجلى باستخدام الجداول إذا كانت طبيعة البحث تستلزم استعمال هذه الجداول والأشكال واستعمال الملاحق في مواضعها أيضاً إذا كان ثمة ضرورة لوضع الملاحق.

ثالثاً- توصيات

---

[41] الدكتور فخر الدين قباوة- توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 2008 المجلد 83 ج4 ص821.

[42] المرجع السابق ص832.

[43] المرجع السابق ص831.

لا تتأتى الكتابة العلمية باللغة العربية بصورة عفوية تلقائية على قلم صاحبها، وإنما تحتاج إلى مران وممارسة حتى يتمكن صاحبها من امتلاك المهارة، والمهارة لا تكتسب إلا بطريق المران والتوجيه والتعزيز وتوافر القدوة الحسنة. وفيما يلي عدد من التوصيات الرامية إلى النهوض بالكتابة العلمية والارتقاء بها، ومن هذه التوصيات:

1- التدريب على استعمال اللغة العلمية منذ وقت مبكر، وذلك بأن تكون الكلمات دالة على المعاني بكل دقة ووضوح، وأن يكون ثمة ابتعاد عن الشحنات الانفعالية، وتركيز على استخدام المنطق في الاستنتاج، ومناقشة الآراء بكل موضوعية واحترام للرأي الآخر.

2- تزويد الناشئة من خلال ما يتفاعلون معه من مناشط فكرية بأساليب التفكير العلمي الناقد الموضوعي الذي يميز بين الزيف والحقيقة والخبرة المربية وغير المربية.

3- استخدام المصطلحات الأكثر شيوعاً وانتشاراً، إذ إنها تفضل على غيرها، واستخدام الكلمات التي تسمح بالاشتقاق على الكلمات التي لا تسمح به.

4- تعزيز ما يقوم به المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في مجال ترجمة أمهات الكتب، والعمل على سيرورة الكتب المترجمة ذات الأساليب العلمية وتعميمها على الجامعات والمعاهد للإفادة منها في عملية التأليف وتدريب الطلبة على الصياغة العلمية باللغة العربية في ضوئها.

5- الإفادة من التراث العلمي العربي والمصطلحات العلمية المستخدمة في الميادين العلمية في التراث ربطاً لماضي الأمة وتراثها بحاضرها ومستقبلها.

6- تخصيص جوائز لأحسن الكتب المؤلفة باللغة العربية العلمية، وتكريم مؤلفيها.

7- العمل على وضع مبادئ وتوجهات ومعايير للكتابة العلمية باللغة العربية وتعميمها على أوسع نطاق تمكيناً للكاتبين من استخدام هذه اللغة، والعمل على نشر الثقافة العلمية في جميع مجالات الحياة.

8- التشدد في منح الدرجات العلمية في الدراسات العليا تشجيعاً للأساليب العلمية في صوغ رسائل الماجستير والدكتوراه، والتشدد في ترقية أعضاء الهيئة التدريسية بحيث يؤخذ بالحسبان مدى التمكن من مهارات استخدام الكتابة العلمية باللغة العربية.

9- إجراء مسابقات في المدارس لتشجيع الطلبة على الكتابة العلمية باللغة العربية وعلى التعبير الوظيفي، وتخصيص جوائز للفائزين فيها.

10- إغناء المكتبات المدرسية بالكتب ذات الكتابة العلمية، واستبعاد الكتب الداعية إلى الشعوذة والترهات والسحر والخرافات.

11- التعريف بأعلام الكتابة العلمية باللغة العربية ماضياً وحاضراً من حيث نتاجهم الفكري والآثار التي خلفوها، وتقديم نماذج من كتاباتهم.

12- تفعيل حركة الترجمة وخاصة ترجمة المصطلحات العلمية والعمل على توحيدها.

13- اعتماد تعريب مسميات وحدات التقييس للأبعاد والكيل والميزان، واعتماد الرموز العلمية، ووضع مواصفات شاملة لها مع تعريفاتها، فذلك كله ضروري في مجال الكتابة العلمية باللغة العربية.